الانسان المأساة في شعر نزار قباني

بقلم محيي الدين صبحي

... وفي احدى لحظات القلق كفر الشاعر (١)بالانثى كحل لما يعانيه في الفكر والوجدان من ازمات ، ورفض ان يقوم كل مرة بالدور نفسه وان يظفر منها بالنتيجة ذاتها ، فاعترف – في هذه المرة فقط – بكذب دعواه في انه محب ، واعترف بانه يجعل من المرأة بين يديه لعبة بعد ان كفت عن ان تملأ عقله وخياله وعاطفته ، واقر – للمرة الاولى – أن فنه اثمن لديه منها ، وانه يستخدم المرأة قناة يصرف فيها قلقه . ان قصيدة (رسائل لم تكتب لها) مجموعة اعترافات لم يسطر كاتب بالعربية سطورا في مثل جرأة الصدق الفني المتغلغل بين كلماتها . انها تعبر عن الانسان – الازمة الذي يعيشه نزار قباني في ذلك الحين . وهو في تلك القصيدة يكرر التعبير عن ضياعه (٢) برسم صور عديدة له ، فمرة يذكر انه فرسم الحرف كما يمشي مريض في سبات ، ومرة يذكر ان حبه جزء من شروده فهو يكتب كالسكران . لان المرأة (مصدر الهامه وينبوع فنه) لم تعد منفذا للخلاص بل الخلاص في الفن . ومنذ الان اصبح الحرف جزءا من حياته ، وحياته رحلة سوداء في موج الدواة شوقا الى حرف جديد.

وهو اذ كان ضائعا تائها فانه لم يستطع ان يعثر في هذا العالم العريض الوسيع الا على تائهين . ان النماذج التي رسمها خلال قصائده هي نماذج اناس في حيرة من امرهم . لا يدرون ماذا يريدون من الحياة ، لقد ضاع تاريخهم او ضاعت ارادتهم او ضاعت كرامتهم . فشخصية (المدخنة الجميلة) شخصية شابة يائسة تحرق ايامها في سجائرها أسوانة متبرمة يلاحقها حزن مجهول ، لعله فقد حبيب او ضياع امنية ..

والشاعر لا يضم شجنه الى أساها لكنه يؤاسيها ويدعوها الى الاحتراق معه :

مذعورة السالف لا تياسي ... فلم يزل في السفح ازرار
حسناء .. ما يشقيك في عالم ... ما زال في عينيك يحتار
صغيرة انت.. علام الاسى ... والارض موسيقى وأنوار
تلك اللفافات التي افنيت ... خواطر تفنى .. وأفكار ..
ان اطفأتها الريح.. لا تقلقي ... انا لها .. الكبريت والنار

وفي قصيدة (طوق الياسمين) نعثر على نموذجين احدهما يكمل الآخر ، نموذج الشاب المتلهف ونموذج الغانية اللاهية .. ولا يخلف التقاؤهما من اسلاب المعركة الا الشعور المجروح ، وقد رمز له الشاعر بطوق الياسمين ملقى على الارض كالجثة البيضاء بين اقدام الراقصين. انه مهزوم في المعركة ، وهذه القصيدة تسجل بدء هزمه على شكل اندحار في ميدان الحب . حقا ان المهارة الفنية ألقت ظلا من الاسى منذ بداية القصيدة على شكل لحن حزين ولون اسود وبذلك لم تأت النتيجة مفاجئة لشعورنا ، ولكن النموذجين متكاملان واحد خائب وواحدة ساهمة لا تفكر الى اين ينتهي مصيرها على زنود المعجبين . فالنهاية سلبية وليس هناك حل ايجابي من قبل الطرفين .

ويطالعنا الديوان بوجود اناث لا تعرف الكرامة ، انها تضعف بعد طول مقاومة امام اشياء ليست هي الشباب ولا الخداع ولا الوعود ، انها اشياء غير انسانية هي : المال . امام المال والهدايا يذل نموذج من النساء ..

ان البطل الذي انهزم امام غانية طوق(الياسمين) حاول ان ينتصر على بطلة (الى اجيرة) وحين تلفت وجد ان نصره عليها هو هزيمة ثانية له .. انها بين يديه سلعة مشتراة ، لقد امتلك ما كان عصيا عليه، فوجده باردا مر المذاق ، لقد افتقد شهوة العطاء والاستسلام عند الانثى العاشقة، ووجد بين يديه حطام امرأة فثار .

لقد احتقرها :

بدراهمي
لا بالحديث الناعم
حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمي
وبما حملت من النفائس والحرير الحالم
فأطعتني
وتبعتني
كالقطة العمياء ، مؤمنة بكل مزاعمي
فاذا بصدرك ، ذلك المغرور ، ضمن غنائمي
اين اعتدادك ؟
انت أطوع في يدي من خاتمي
قد كان ثغرك مرة
ربي فأصبح خادمي
آمنت بالحسن الاجير وطأته
بدراهمي
وركلته
وذللته
بدمى ، بأطواق كوهم الواهم

ثم اشفق عليها :

مسكينة ...
لم يبق شيء منك منذ
استعبدتك دراهمي ..

(١) من كتاب عن الشاعر نال به صاحبه شهادة الليسانس في الاداب من الجامعة السورية وتصدره دار الاداب قريبا .

(٢) بخلاف ما قررته السيدة سلمى الخضراء الجيوسي في بحثها القيم عن الشاعر وأنه حازم لا يعرف التردد

هذا نموذج امرأة تعيش بلا كرامة .

فاذا صادفته امرأة باردة الاحساس فرغ صبره من بلادة شعورها وركلها بكثير من الضيق ، وقصيدة (الى ساذجة) موجهة الى هذا النوع من الجمال الذي يرهقنا بتألقه وسكونه ووداعته ، وهو في حديثه اليها لا يصف طباعه بقدر ما يصف تحوله ، فالقصيدة سلسلة براهين يقنع بها نفسه في أن له الحق في بتر تلك العلاقة . لنسمع وداعه واعتذاره :

لا شك .. أنت طيبه

بسيطة وطيبه ..

بساطة الاطفال حين يلعبون

وأن عينيك بحيرتا سكون ..

لكنني :

أبحث يا كبيرة العيون

أبحث يا فارغة العيون

عن الصلات المتعبه

عن الشفاه المخطئة

وأنت يا صديقتي

نقية كاللؤلؤة

باردة كاللؤلؤه

وأنت يا سيدتي

من بعد هذا كله لست امرأه

هل تسمعين يا سيدتي

لست امرأه

وذاك ما يحزنني

لانني

ابحث يا عادية الشفاه

ابحث يا ميتة الشفاه

عن شفة تأكلني

من قبل ان تلمسني

عن اعين ..

امطارها السوداء .. لا تتركني

ارتاح ، لا تتركني

وأنت يا ذات العيون المطفأه ..

طيبة كاللؤلؤه

لقد اصبح ذوقه حريفا ، لقد فقدت بكارة الاشياء قيمتها في نظره وانهارت القيم الكلاسيكية من براءة وطهارة ووداعة . فهو يبحث عن الشاذ والمنحرف وكل ما يجعل للاشياء المعروفة بعض الطرافة . ولعل أول اشكال الشذوذ وأهمها هو العلاقة الجنسية المثلية Homosexuality وبما ان الشاعر طبيعي جنسيا ولا يمكن ان يجذبه الانحراف الى ما يماثل جنسه فقد اشبع الميل المنحرف برصد امرأتين تتبادلان اعمال الغرام ووصف كل ذلك في (القصيدة الشريرة) . ولعله في هذه الفترة سافر الى اسبانيا بلد الشعور الخام والاثارة اللاهبة وكتب فيها مذكرات اندلسية ، مؤديا الموضوع الشعري بشكل نثري لاول مرة في حياته وذلك بسبب بحثه عن الطريف الجذاب .

في قصيدة « حبلى » نوع من المقاومة السلبية يبديها البطلان ازاء بعضهما بعضا . وتبدأ مذلة المرأة منذ ان تخبر الرجل بالسر الذي تحمله بين احشائها . فهو يفر من وجهها حتى لا يقف امامها فيندى جبينه من ذكريات الليالي السابقة ومن وهم وجود ثالث بينهما - هو ابنه - يريد ان يطل على الحياة ويريد هو ان يحرمه من هذه الحياة . اما هي فتلاحقه باصرار رغم ما تعاني من آلام الوهم وهم الفضيحة وعناء الطرد . والمشهد الاخير يثير احتقارنا لما فيه من برودة المساومة على حياة طفل وسعادة أم وكيان اسرة ، والثورة الاخيرة التي تثورها المرأة انما تأتي بنتيجة سلبية ايضا ، وان كان فيها مبررات نظرية : انا لا اريد له أبا نذلا . وهذا يؤكد مفهوم الانتصار - الهزيمة الذي بدأ الشاعر يواجهه والذي رأيناه في قصيدة « الى اجيرة » .

من (حبلى) تنطلق عناصر الثورة في عديد من القصائد ، وهو انطلاق يلائم تطور اختمار عناصر التمرد في نفسه ، اذ أن هذا الفنان يعبر عن كل موقف يواجهه به الحياة ، دون ان يلجأ الى تعويض او تزييف ، وهو يلون انتاجه بلون فكره ، لذلك نرى ابطال قصائده يعدلون مواقفهم . فالمرأة التي تتحدث في (رسالة من سيدة حاقدة) ليست في مأزق حبلى ، اي ان الواقع نفسه اخف عبئا ، وهي في ثورتها اعنف واكثر كبرياء ، وأدق مناقشة .

بطلة حبلى تبكي وتئن وتتوجع وتتحسر ، اننا نكاد نرى استكانتها وحزنها وهي تقاسي مذلتها بعناد :

وبعثت بالخدام يدفعني

في وحشة الدرب

يا من

زرعت العار في صلبي

وكسرت لي قلبي

ويقول لي :

« مولاي ليس هنا »

مولاه الف هنا

لكنه جبنا

لما تأكد أنني حبلى

اما صاحبة (رسالة من سيدة حاقدة) فليس لديها دموع ولا عويل وانما عتاب فيه الكثير من الترفع والاسف ، وتقرير الجرم المشهود :

لا تعتذر ..

فالاثم يحصد حاجبيك

وخطوط احمرها ، تصيح بوجنتيك

ورباطك المشدوه .. يفضح

ما لديك .. ومن لديك

يا من وقفت دمي عليك

وذللتني

ونفضتني

كذبابة عن عارضيك

ودعوت سيدة اليك

وأهنتني ..

من بعد ما كنت الضياء بناظريك

حقا ان من براعة الشاعر الملاءمة بين الشخصية والاسلوب ، ولكن كان باستطاعته أن يختار امرأة بكاءة تندب الوفاء وساعات الوصال .. الا أن تطوره النفسي واتجاهه الى التمرد أمليا عليه ان يختار هذه المرأة المالكة اعصابها الواعية لاقوالها .. فنشعر بكبريائها من خلال عتابها .

ولعل الثورة والتمرد اظهر ما يكونان عند ابطال قصائده في «اوعية الصديد» حين تهب المرأة مطالبة بحقها ، محقرة أنانية الرجل وفكرة الحريم . انها ثورة انسانة عندها الكثير من الكرامة .

قلنا انه يطور ابطال قصصه حسب اختمار فكرة التمرد في نفسه .. ترى كيف تم هذا التمرد ؟ وما هي نتائجه على نزار الانسان ونزار الفنان؟ اولا ما هي عوامل هذا التمرد وأسبابه ؟

يمكننا ان نفترض أنه منذ تحولت المرأة من جمال يعبد الى صديق يحس الشاعر بوجوده المادي ، فقد بدأ الملل يتسرب الى نفس الشاعر وأخذ الشك يساوره في كون المرأة صالحة لملء فراغ الحياة وينبوعا لكل مباهجها .. ثم فشلت تجربة زواجه .. كما خاب أمله في الكثير ممن صادقهن .. فبدأ يشعر بسرابية ايامه .. وتفاهة اهدافه .. لذلك جعل الفن محراب خلاصه وبدأ يتنكر لعلاقاته وماضيه وأسلوبه في الحياة .. ففضح نفسه بالاعترافات التي اطلقها في « رسائل لم تكتب لها» وبرر هجره لاحدى الفتيات « الى ساذجة » بحبه للعنف في الحب ،كما اظهر رجال قصائده بمظهر « النذل » وهي الصفة التي اطلقها عليهم على السنة النساء . واذن فهو ثائر على هذا النهج في الحياة ... ثائر على العلاقات غير الكريمة .. ثائر على الجمال البارد .. ثائر على المذلة الابدية التي يشعر بها الرجل امام المرأة ـ الجنس .. تلك المرأة التي تلغي عقل الرجل وتطلق غرائزه حتى يصبح جسمها مدار حياته :

انتهت قهوتنا

وانتهت قصتنا

وانتهى الحب الذي كنت اسميه عنيفا

عندما كنت سخيفا ..

وضعيفا ..

عندما كانت حياتي

مسرحا للترهات

عندما ضيعت في حبك أزهى سنواتي ..

ان قصيدة « الى ميتة » تعبير عن بداية تحول الزاوية التي ينظر منها الى الكون من خلال المرأة .. وفيها يعلن اسفه على عمره الذي ضاع في مثل تلك العلاقة السخيفة التي يسمونها « الحب » والتي تعتري الانسان في حالات ضعفه امام اباطيل الحياة :

بردت قهوتنا

بردت حجرتنا

فلنقل ما عندنا

بوضوح ، فلنقل ما عندنا ..

انا ما عدت بتاريخك شيئا

انت ما عدت بتاريخي شيئا .

لقد بدأ القصيدة بقوله : انتهت قهوتنا .. انتهت قصتنا » ثم قال « بردت قهوتنا .. بردت حجرتنا » فهل وقع الشاعر في شيء من التناقض ؟ أي هل يمكن ان تنتهي القهوة اولا ثم تبرد ؟ كلا . وانما هي رشاقة في عرض الحادثة تميز بها القصص الشعري عند نزار . لقد كان في بداية القصة يعاني اشد حالات الضيق فبدأ يطمئن نفسه بأن القصة قد انتهت ، ولذلك يمكن ان نعتبر هذا المطلع هو خاتمة القصة ، وبذلك يكون قد بدأ بسرد القصة من نهايتها ، ثم عاد يذكر برودة مشاعره وأحاسيسه عن طريق ادراكه لبرودة القهوة وبرودة الحجرة ، ولعل هذا الجمود قد جعلهما مرتبكين صامتين فمشى هو الى الهدف بسرعة ،وقال ما عنده ... ان احدهما لم يعد شيئا بالنسبة الى الآخر .. وانهالت عليه في هذه الهنيهة الساكنة الاف الاسئلة .. لعل مصدرها شعوره بغرابة الموقف الجديد الذي يواجهه :

ما الذي غيرني

لم أعد ابصر في عينيك ضوءا

ما الذي حررني ؟

من حكاياك القديمه

من قضاياك السقيمه

بعد ان كنت اميره

بعد ان صورك الوهم لعيني اميره

بعد ان كانت ملايين النجوم

فوق احداقك تغلي

كالعصافير الصغيره

انها ليست مناجاة نفس فقط وليست ذكريات تتداعى بل انه انسان مرهق من القضايا السقيمة التي واجهته بها الحياة مع المرأة ..وبالتدريج بدأ يشعر بوهمية الاشياء التي كانت تبدو لعينيه حقائق ، فنرى ذكرياته الجمالية ملفعة بالكثير من المرارة .. في حين ان الاسئلة ترتدي شيئا فشيئا طابع استيقاظات يندهش لها الشاعر كمن افاق من اغماءة فهو يتطلع الى العالم الخارجي وكأنه ينظر اليه مرة ، والشاعر يحاسب نفسه على تمرده كمن ارتكب جريمة وهو سكران فترى دافقا من الاسئلة تنهال عليه من كل صوب :

ما الذي حركني ؟

كيف مزقت خيوط الكفن ؟

وتمردت على الشوق الاجير !..

وعلى الليل .. على الطيب .. على جر الحرير !..

بعد ان كان مصيري

مرة يرسم بالشعر القصير ..

مرة يرسم بالثغر الصغير ..

واذن فقد تخلص من ذلته امام الجسد .. وبدأ وعيه لما اقدم عليه يزداد . لقد صحا تقريبا وان كان ما يزال في ذهنه اكثر من خدر . ان الاسئلة التالية اقل غيبوبة من الاسئلة الاولى ، فان كانت التساؤلات الماضية شبيهة بمن يتخلص من كابوس فان الاسئلة التالية تشبه تمطي

النائم في بدء صحوته ، وفيها ظلال من تفاؤل بالانطلاق والحرية والخلاص من صدأ التكرار والخداع .. مما يجعله يشك في كل الانسان الذي عاش ماضيه ويمكن ان نقول انه صار يحتقره :

ما الذي أيقظني ؟
ما الذي ارجع ايماني اليا
ومسافاتي وابعادي اليا
كيف حطمت الهي بيديا
بعد ان كاد الصدا يأكلني
ما الذي صيرني ؟
لا ارى في حسنك العادي شيا
لا ارى فيك وفي عينيك شيا
بعد ان كنت لديا
قمة فوق ادعاء الزمن
عندما كنت نجيا

ها هو يستعيد نشاطه وان كان الاستغراب ما زايله بعد ، وتكاد السطور تنضح حقدا وشعورا عاريا من كل تزييف .

ولا يماثل هذه القصيدة في عري مشاعرها وابانة مقاصدها والافصاح عن الضيق النفسي فيها ، سوى قصيدة (نفاق) حيث الجو أبرد والحنق أشد ووقع الكلمات ذو صدى عميق ورنان في نفوسنا . ولعل هذه القصيدة تمثل قمة التمرد لدى المراة النزارية ، فتراها تتناول الحديث طوال القصيدة ، ونكاد نلمح يدها وهي تبعده عنها في غير رفق حين حاول ان يستثيرها ببعض قبلات على جيدها .. او عندما اخفى حقيبتها ليعوق افتراقها عنه عسى تهدأ ثورتها . واذن فقد اصبحت الثورة على الجنس شيئا عاما صار يلمسه الشاعر في العالم الخارجي بعد ان لمسه في نفسه .

في الديوان قصيدتان يبلغ فيهما التمرد ذروته ، وفيهما يسرد الشاعر كل اسرار انتفاضته ، ويذكر جميع ما لديه من مبررات وحقائق تدعوانه للكف عن المراة ـ الجنس . انهما ثورة على كل ما في المراة ـ الجسد من تفاهة وسطحية واملال . وقد كتبت القصيدتان باسلوبين مختلفين تماما ، كتبت القصيدة الاولى (لن تطفئي مجدي) في ساعة من ساعات الغضب والحصر فجاءت الثورة فيها عنيفة هوجاء مدمرة ، كأنها اعصار يحمل كل مرارة المذلات السابقة واساها ، فاذا بالالفاظ عصبية نابضة فيها الكثير من صيغ الانكار والتأكيد والتحقير ، وفيها تعالي الفنان واعتزازه بموهبته وبوقف حياته على فنه . وقد عرض كل هذا التناقض بين مثله وحياته في صور فنية تبلغ من الدقة والجمال والعنف آفاقا مشرقة ، فجبينه يتمزق والحروف تطفر من جبهته لتنهش المراة التي تغيظه . لقد مات الحنين وانتهت قصة الاعصاب والافيون والدم والجنون ـ وكلها اشياء تفقد الانسان وعيه . فاذا اشرفت القصيدة على ابياتها الاخيرة بلغ تمرده غايته وراح يسرد لها اخطاءها بالم حزين تساعده مدة حرف اللين ورنة النون التي تليه فاذا نحن امام انين مكتوم ومأساة فنان آلهه :

لن تطفئي مجدي ، على   قدح .. وضمة ياسمين
ان كان حبك ان اعيش   على هرائك فاكرهيني
لا تطابي دمعي .. انا   رجل يعيش بلا جفون
مزقت اجمل ما كتبت   وغرت حتى من ظنوني
وكسرت لوحاتي واضرمت   الحرائق في سكوني
وكرهتني .. وكرهت فنا   كنت اطعمه عيوني
ورايتني أهب النجوم   محبتي . . فوقفت دوني
حاولت ان اعطيك من   نفسي ومن نور اليقين
فسخرت من جهدي ومن   ضربات مطرقتي الحنون
وبقيت رغم اناملي ،   طينا تراكم فوق طين
لا كنت شيئا في حساب   الذكريات .. ولن تكوني
شفتي سابترها .. ولن   امشي اليك على جبيني

ولعل مجزوء الكامل وسهولة القافية تعينان على سرعة تأثرنا ، فليس هوينه ،فانعدامالملاحظة الدقيقةلديه يدل على عدم الاهتمام.والخطابمصوغ الشاعر نفس هذه الحال ، لكنه كان هادئا غير مجروح الكرامة ،باستطاعته ان ينظر الى الامور نظرة موضوعية ، فاتسمت قصيدته الثانية بالبسمة الباردة والسخرية القاسية والطعم اللاذع ، وهي اعمق فنا وأكثر بلورة من الاولى، واميز خصائصها زوال الصفات الخاصة التيتلونالجمالوتعطيه فانعدام الملاحظة الدقيقة لديه يدل على عدم الاهتمام . والخطاب مصوغ بلسان البطلين مما يدل على تمني الشاعر ان تبادله المراة قلة الاكتراث. وفي الحديث صراحة باردة تجرح المشاعر . فكل عواطف القصيدة سوداء رطبة مثل قطعة خشب تحترق وهي مبللة .

العنوان فيه استخفاف (عند واحدة) وجو الجلسة ملبد بضباب الدخان . ففي الحديث ثرثرة ونفاق ، وفي وجهها شحوب يعفي على قسمات جمالها فلم تعد سمراء ولا شقراء بل هي « حسناء » ليس في حسنها ما يميزه . وهو شديد الاحساس بوطأة الزمن ، فقد صار يمل بسرعة ، ولعل دقات الساعة تنبه فيه الملل من حديث لم يعد متعة بل لعل الجو المثلوج الذي يحس به يدعوه الى الفرار حيث يستعيد بعض الحرارة ، فهو يعاني نقصا في الشعور بالحياة ، فأصابعه باردة وعيونه لا تبصر اللون كأنه باخ او مات او كان الحنين قد تجمد في عينيه فاستحالتا حفرا بلامعنى ! لقد حل الشتاء وصقع ورد الحديقة وتشعث ممر البنفسج لطول الاهمال ، وها هو الربيع ينعي موتهم . ان الاهمال طوفان يكاد يغرق الطبيعة والناس ، والا فما للمقاعد لا تحس بعد ان كانت تحضن العشيقين ؟ لا بد وأنها العادة فهي التي بدلت المقاعد وهي التي اضاعت الايمان فانطفأت نار كان المحبون يجدون انفسهم في حرائقها.

وهكذا استحال الشاعر من ثائر الى ناقد ساخر فارس المشاعر ، يكفر بالحب والجمال والجنس .. اشد ما يسخر منه هو الماضي فتضحكه الرسائل والرسوم وكل ما يثير ظلاله ، وغالبا ما ينكر نفسه ، اذا رأى صورته او قرأ احدى رسائله او تذكر بعض امكنة اللقاء .

شيء واحد فقط اثار فيه رعشة الفرح .. امراة واحدة فازت باعجابه .. امراة لم تثر جسده بفتنتها ولا دهشته باناقتها ، بل احب فيها بساطة لباسها وزينتها ، واعجب بعفوية مشاعرها وصدق حياتها .. انها امراة يحترمها نزار بأكثر مما احترم السابقات لانه بعد ان مل المراة ـ الجسد وكره الانثى من خلالها ، وبعد ان استجار بالحب والوفاء فوجد الشهوة والخداع ، عثر عليها صدفة فلم يعترض طريقها بل تركها تنساب مع الحياة مثل خيط من عبير وعاش بعدها يحلم .. انها اثارت فيه حب

الانطلاق واحتضان العالم .. لانها امرأة — فكر .

استمع الى حديثه فتجده يهمس حالما بتلك الذكريات النقية والجمال الرشيق ، كأنه هبة نغم :

كان اسمها جانين ..
لقيتها — اذكر — في باريس من سنين
اذكر ، في مغارة التابو ...
في عينها تبكي
سماء باريس الرماديه
وهي وجوديه
تعرفها
من خفها الجميل
من هسهسات الحلق الطويل
كأنه غرغرة الضوء بفستقيه
تعرفها من قصة الشعر الغلاميه
من خصلة في الليل مزروعه
وخصلة لله مرميه

هذا الجمال مجنح رفاف يكاد ان يطير .. وهنا يعاوده شيء من الخشوع امام الحسن ويستحيل الجسد الى خطوط وأنغام وألوان ليست ترابية . وما تتوارد الذكريات حتى تنسرح عواطفه وتمتد الى مسافات أبعد من الوهم ، وتنشط مخيلته امام انطلاقات حياتية فيها من الفرح رعشته ومن قلب الانسان نبضاته امام مصير بهيج :

كان اسمها جانين
بنطالها سحبة كبرياء
خيمة حسن ... تحتها يختبي المساء
وتولد النجوم ..
وخفها المقطع الصغير
سفينة مجهولة المصير
تقول للجاز : ابتدىء ..
أريد ان اطير ..
مع العصافير الشتائيه
الى مسافات خرافيه
اريد ان اصير
أغنية او جرح اغنيه
تمضي بلا اتجاه
تحت المصابيح المسائيه
في حارة ضيقه
في ليل باريس الرماديه

احلام حريرية تعانق مخيلة هذه الطفلة الجذلى .. وحركة في النفس دائبة تجددها وتنقيها .. فاذا بالكلمات ابتهالات للحياة ولان نحيا الحياة . ليس في كلماتها مازوشيه ولا اختلاج بل هي حروف مادتها الحلم ولونها اغبش .. فهي غير محددة بل عندها القدرة كي تنتشر في كل وجودنا مثل زجاجة من الخمر العتيق المطيب تشيع الخدر والنشوة في كل عرق وعصب ، بل لعلها مثل شمعة اضيئت في معبد كبير فاذا بكل ما فيه ظلال راقصة ولون غامض لا مظلم ولا مضيء ، وهي فاتنة فتنة حركة وتموج عفوي ، تستقبل الحياة برقصة ولحن لتنطلق الى عالم فسيح غير محدود .. كله حرية وحب وسلام .

ان رعشة الحرية والفرح المنعشة وهذه الحياة التي يختلط فيها الواقع بالحلم ، تدل على ان نزار قباني لم يستغن عن المرأة وانما ثار على طراز معين من النساء يكثر وجوده في العالم وبخاصة في شرقنا ، وان كان تأثيرها عليه قد خف بحيث اتسع المجال الشعري عنده لكثير من مشاكل الحياة عند الانسان الفرد وعند الجماعة التي رافقت نشاته ونشاة اجداده على هذه الارض التي ندعوها الوطن .

وعدم تخلي نزار عن المرأة يعيد الينا صورة سيزيف الذي قذف الصخرة من قنة الجبل ثم انحدر بين شعابه ومسالكه حتى وصل الى السفح فلما وجدها حدق فيها طويلا ثم انحنى مادا يديه نحوها ببطء حتى التقطها فحملها ووضعها على كتفه واتخذ من جديد قمة الجبل وجهة صعوده ... اذ أن الانسان الذي وجد موضوعا يمكن أن يعتبره حلا لمشكلة الحياة يصعب عليه جدا ان يتخلى عنه بسرعة ، فيبدأ بتطويره وتسليط الانوار عليه من مختلف نواحيه ، بينما تتسلل الى ذهنه افكار توحي بامكان الانشغال عنه والاشتغال بغيره زمنا غير قصير . وكذلك اصبحت حال الشاعر بعد ان اجتاز المراهقة وثورة الجنس والعواطف والاحلام وصار يلامس الواقع ملامسة مباشرة وموضوعية . فبدا يكتب عن مشكلات بلاده « خبز وحشيش وقمر » و « قصة راشيل شوارزنبرغ »

دمشق

محيي الدين صبحي

دار الآداب **تقدم تباعا**

الشاعر الكبير نزار قباني

في دواوينه الثلاثة النافدة

أنت لي

سامبا

طفولة نهد

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

صدر الديوانان الاولان